الفصل الأول

التقـــــوى

الفصل الأول

التقـــــــوى

إن الطريق الأمثل لقهر وانتفاء أي من المفاهيم السلبية التي تنال من الذات الإنسانية والذات المجتمعية – على اعتبار أن المجتمع هو مجموع أفراده– هو أتباع **المنهج الالهي** الذي انزله خالق هذه الذات الإنسانية لتهتدي به وينير لها الطريق، ذلك المنهج الذي انزله الله تعالي للناس كافة بل ولسائر خلقه عرباً وعجماً وإنساً وجناً وحتى تقوم الساعة.

قال الله تعالي:﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٦٣ ﴾ [الزمر]

وقال تعالي:﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾ [الشورى]

لذلك يجب الخضوع والتسليم لله وحده خالق كل شئ ، والعبودية الكاملـــة له وحده سبحانه، **قال تعالي:**﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ(٢)﴾ [النحل]، وتتمثل هذه العبودية في الطاعة فيما أمر به ، وتجنب ما نهى عنه حتى تتحقق وظيفة الإنسان في هذه الحياة الدنيا كخليفة لله في أرضه وإلي حين ،ليعمرها بمنهج الله تعالي، حينئذ تحيا الذات الإنـــسانية في عزة وكرامة، آمنه مطمئنه أخذه بالأسباب أثناء حركتها وسعيها فـــي تلـــك الحياة الدنيا، التي هي دار الممر، وقد يتجلى ذلك في قيمة جوهرية – قد أراها–

تكاد تكون أم القيم، ألا وهي (التقوى) حيث فيها الخوف، والرجاء والخشية من الله ، وفيها الحب والطاعة والامتثال لما أمر الله تعالي به في كل الأمور المعلن منها والخفي. قال تعالي:﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ١٩﴾ [النحل]

وكم أحتوى المنهج الإلهي علي العديد من القيم الإنسانية، والآيات الكريمة ليأخذ الناس تارة بالتبصير، وأخري بالتحذير، وثالثة بالوعيد، وجميعها تصب في حق العبودية الخالصة لله وحده، وحسن الخلق، وأدب التعامل في المواقف الحياتية علي تنوعها بين خشية الله تعالي والتماس الرجاء منه وحده، والطاعة والامتثال لم أمر به وتجنب ما نهي عنه.

قال تعالي: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات]

وقال تعالي:﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)﴾[الإسراء]

إن الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الله وحده لا شريك له والخضوع الكامل له وحده سبحانه، ووظيفة هذا الإنسان في هذه الحياة الدنيا – باعتباره خليفة الله تعالي في أرضه – هو أعمارها وفق ما جاء في منهج الله تعالي الذي انزله سبحانه لتستقيم به أمور البشر. وتحقق الذات الإنسانية وجودها وتحيا في تفاعل إيجابي مثمر حتي تعود إلي دار المقر بعد حساب دقيق لأعمالها بميزان متقاله الذرة، قال تعالي في شأنه: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة]

هذا يعني أن هذه الذات الإنسانية عليها أن تسعي في الحياة الدنيا بالعمل الصالح في تفاعل إيجابي مثمر، آخذه بالأسباب أثناء حركتها وسعيها بجدية

وإخلاص في ذكر دائم لله تعالي خالقها، يتضح في سلوكياتها متخذه من الإخلاص قيمة أثناء سعيها لإنجاز الأعمال الصالحات علي طريق التقوى فبالإخلاص ينتصر الأفراد، وأيضاً تنتصر الأمم علي كل ما هو سلبي، ويحول دون نموها وتقدمها.

قال تعالي: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر]

وقال تعالي: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [التوبة]

وقال تعالي:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾[الشعراء]

وقال تعالي: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)﴾[الأنعام]

وقال تعالي: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر]

وغيرها الكثير من الآيات القرآنية التي تحذر الإنسان وتحثه علي الطاعة والعمل الصالح والخوف من الله تعالي، "فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي لا يتطرق إليه شك، ولا يقع الريب عليه، ولا يحوم الجدل حول تواتره وصحة سنده وسلامة نسبته إلى مبلغه، وأنه هو الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه وتعهد بصونه وألتزم بحمايته ورعايته، ذلك أن الله تعالى ختم به الرسل، وأنهى به الشرائع وأتم به الصحف ، وسبب آخر، وهو أنه لم ينزل كما نزلت الكتب السماوية السابقة علاجاً لأمه خاصة، ولا دواء لجماعة معينة وإنما نزل ليكون قانون الله تعالى إلى كافة عباده ودستوره إلى سائر خلقه عربياً

وعجماً، أنساً وجناً، وهو لا يمكن أن يبلغ هذه الغاية ولا أن يحقق هذا الشأن إلا إذا زوده المولى سبحانه وتعالى بأسباب الدوام والبقاء وحال بينه وبين عوامل الزوال والفناء، وجعله كالطود الثابت الذي لا تنال منه العواصف ولا تؤثر فيه القواصف، ونرى هذا المعنى واضحاً في قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر].. فقد أعلنت هذه الآية الكريمة أن الله تعالى هو الذي نزل هذا الكتاب وأنه سبحانه وتعالى هو الذي سيتولى حفظه وحمايته(٢٨: ٣)

فالقران الكريم "هو أعظم الكتب السماوية والمهيمن عليها والناسخ لجميع شرائعها وأحكامها"(٣:٢١)، "أنزله الله تعالى على أفضل أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم كما أنزل غيره من الكتب على مَنْ سبق من الرسل، وأنه نسخ بأحكامه سائر الأحكام في الكتب السماوية السابقة، كما ختم برسالة صاحبه كل رسالة سالفة"(٣: ٢٣)

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾ [المائدة]

قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)﴾ [الشعراء]

وفي شأن هذا الكتاب العظيم: نزلت العديد من الآيات الكريمة التي تبين قدره وفضله وعظمته منها:

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(٢) ﴾ [البقرة]

وقوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ(٣٨)﴾ [الأنعام]

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(١٥٥)﴾ [الأنعام]

وقوله تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(٩)﴾ [الإسراء]

وقوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٩) ﴾ [التكوير]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)﴾ [يونس]

وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾ [الحشر]

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(٥٧)﴾ [يونس]

وفي سياق التأكيد على ضرورة التمسك بمنهج الله تعالى وهدي رسوله الكريم ، فإن هذا المنهج الإلهي الذي أنزله الله تعالى للناس كافة وهو الكتاب الخاتم وحتى تقوم الساعة، أهتم بمفهوم (التقوى) غاية الاهتمام، حتى وأن هذه القيمة الجوهرية بما تحمله من معنى ومضمون وردت في القرآن الكريم بكافة مشتقاتها اللغوية حوالي (٢٤٠) مرة ، فما ورد في صيغة الأمر منها كان حوالي (٨٣) مرة ، وما ورد في صيغة الصفة والحال كان حوالي (٥٤) مرة ، ناهيك عما ورد في باقي الصيغ اللغوية*

---

* كما وردت التقوى في صيغة المضارع حوالي (٥٧) مرة ، وفي صيغة الماضي حوالي (٢٧) مرة ، بينما وردت في صيغة المصدر حوالي (١٩) مرة .

وجميعها تهدف إلى إصلاح الذات الإنسانية الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية.

وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم [رواه الحكم في المستدرك وهو صحيح، ورواه مالك بلاغاً](٣: ٢٢)

وبالرجوع إلى بعض المعاجم اللغوية للوقوف على معنى التقوى يلاحظ التالي بعد:

- يعرف المعجم العربي التقوى كالتالي (٧: ١٣٢٨-١٣٢٩) :
  - و قي: يقى ، وقيا، وقاية ، وق: بمعنى صانة عن الأذى وحماه
  - توقى ، يتوقى، توقيا ، متوق، بمعنى: حذره وتجنبه
  - أتقى ، يتقى ، اتقاء ، متق: - بمعنى حذره وتجنبه
  - صار تقيا وخاف الله فتجنب ما يكره
  - جعل الشيء وقاية له من شيء آخر
  - تقوى : خشية وخوف من الله تعالى بامتثال الأوامر وتجنب النواهي
  - تقى : من خاف الله ويمتثل لأوامره.
  - تقية : خشية وخوف
  - وقاء : ما وقيت به شيئاً
- ويعرف المنجد في اللغة والإعلام ، التقوى كالتالي (٩٥: ٣٤):

وقي، يقى، وقاية، ووقيا ، وواقية فلان: بمعنى صانه وستره عن الأذى

- **ووردت كلمة التقوى في مختار الصحاح كالتالي** (٤٠: ٧٣٣):

- التقوى من الفعل يتقي ، كقضى يقضي
- التقى، التقية، ويقال اتقي/ تقية ، تقاه
- التقَى، المُتقّي، وقالوا ما أتقاه
- تقوى، (أتقى) بمعنى: وقاه الله (وقاية) بالكسر: حفظه

وهكذا أجمعت هذه المعاجم اللغوية على أن معنى التقوى هو الخوف والخشية من الله، ومن يتق يحفظه الله، ويحميه ويصونه.

- **كذلك جاءت التقوى في القاموس المحيط كالتالي** (٦٨: ٤٠٣):

- وقاه، وقيا، وقاية، واقية: صيانة
- وقاه ، الوقاء ويكسر ، الوقاية مثله، وما وقيت به
- والتوقيه، الكلاءة والحفظ.
- اتقيت الشئ، تقيته ، وأتقيه، تُقى ، تُقيَة ، تُقَاء
- والتقوى أسم أصلة تقياً/ قلبوه للفرق بين الاسم والصفة، **قال تعالى:** ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)﴾ [القيامة] أي أهل أن يتقى عقابه.
- وقيل رجل تقى من أتقياء ، وتقواء

- وجاءت التقوى في **لسان العرب**، الجزء الأول: (٢: ٤٢٨)

تقى : تقى الله ، تقيا: خافه، والتاء مبدلة واو

- **وفـــي لســان العــرب، الجزء السادس جاء في التقوى كالتالي:** (٢: ٤٩٠٢-٤٩٠٣)

- وقي: ما وقاه الله، وقيا، ووقاية ، وواقية بمعنى: صانه.

- ووقاه بمعنى حماه، وقال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١)﴾ [الإنسان]
- الوِقاء، والوَقاء، والوَقايَةُ، الوِقاية، الوِقّاية، والواقية: بمعنى : كل ما وقيت به شيئاً.
- التقى : يكتب بالياء، التقي: المتقى وقالوا: ما أتقاه لله
- قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ (الحجرات)

كان هذا بعض مَنْ تعريف لمعنى (التقوى) لغة من خلال بعض المعاجم اللغوية، فماذا عنه اصطلاحا ؟ ومَنْ هم المتقون؟

لقد وردت معنى التقوى في القرآن الكريم بمعنى: عبادة الله وحده لا شريك له وحسن طاعته، "ولهذا فإن تقوى الله تقتضي معرفه الله عز وجل، حيث ينيب قلب العبد إلى الله تعالى وأن ينقطع إليه ، وأن يطمئن بذكره، وأن يستحي من الله عز وجل، وأن يهابه وأن يبتعد عن المعاصي، ومع هذه المعرفة تحدث التقوى، فيحب الله عز وجل العبد الصالح ويقربه إليه، حتى وأنه إذا دعا ربه إجابة، وإذا استنصر به نصره، وإذا استغاث به إغاثة " (٧٦: ٣)

وهكذا تقتضى التقوى معرفة الله تعالى، والعبودية الكاملة له سبحانه، والخضوع والتسليم الكامل له سبحانه، وتنفيذ ما أمر به من طاعات وتجنب ما نهى عنه من معاصي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء]

"لقد أمرنا الله تعالى أن نجعل(التقوى) خلقاً دائماً لنا، وأوصانا أن نتقى قطع الرحم، لأن قطعها ينافي التوسل بها لم يريده أحدنا من الآخر، وهذا الرجاء يبنى على الإيمان، ثم يبنى على صلة الأرحام ويرجع إلى أننا جميعاً موصولون إلى رحم واحد"(٧٨: ٤١)

"وتكشف تقوى الله تعالى عن مدى حفظ العبد لحدود الله، التي وضعها لعباده عبر الالتزام بالواجبات واجتناب ما نهى الله عنه، ومن عامل الله تعالى بالتقوى والطاعة في الرخاء ، عامله الله تعالى باللطف والإعانة في الشدة، وفي هذا قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: أن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي: «**من عاد لي ولياً فقد أذنته بالحرب، ومازال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، قال، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وفي رواية وأن دعاني لأجيبنه**» (متفق عليه)

ويقول الحسن البصري: أن العمل الصالح لا يزال بالعبد المؤمن يمشى وراءه يحرسه فإذا زل أقامه" (٧٦: ٧)

إن (التقوى) هي مفتاح الخير كله في الدنيا وفي الآخرة لمَنْ انتهجها أسلوباً في حياته، ويمارسها سلوكاً مع نفسه، ومع مَنْ حوله، مخافة الله تعالى

وابتغاء مرضاته عز وجل، فقد نجا من الدنيا وما فيها من ابتلاءات، ورفعه الله تعالى إلى الدرجات العليا في الجنة في الآخرة .

ولكن كيف تفعل (التقوى) كل هذا ؟ ولماذا؟

إن الإجابة الصحيحة عن مثل هذا السؤال لا يفي بحقها إلا الكتاب الكريم المنزل من عند رب العالمين، وما يلى بعد إنما هو ذكر لبعض من الآيات القرآنية الكريمة التي حملت دليلاً وتأكيداً، لماذا التقوى؟ وكيف؟

• أن التقوى أمر من الله تعالى ولها فضلها:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ [البقرة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ(٢٣١)﴾ [البقرة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٢٣٣) ﴾ [البقرة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ(٢٠٣) ﴾ [البقرة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾ [المائدة]

وقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات]

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران]

ذلك بعض يسير مما ذكر في الأمر بالتقوى في كتاب الله تعالى وجميعها تذكر بأن الله تعالى يعلم السر والعلن وبصير بما يعمل خلقه، وأنه سيجزئ كل نفس بما عملت وأن الله تعالى سريع الحساب وأيضاً شديد العقاب، وكذلك رحيم لمَنْ يشاء، وأنه سبحانه مع المتقين.

• التقوى سبباً لكرامة الإنسان وأنها له خير زاد:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ(١٩٧)﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(١٣)﴾ [الحجرات]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨)﴾ [الحشر]

• التقوى سبباً في سعة الرزق :

قال تعالى : ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ(٣٦)﴾[محمد]

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٩٦)﴾ [الأعراف]

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا(٣)﴾ [الطلاق]

وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ(٩٠)﴾ [يوسف]

• التقوى سبباً لتيسير الأمر:

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧)﴾ [الليل]

وقال تعالى :﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾[فصلت]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)﴾ [الطلاق]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾[النحل]

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴾[يونس]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾[طه]

• التقوى سبباً في تكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥) ﴾ [الطلاق]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب]

وقال تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) ﴾ [الأنفال]

• التقوى سبب في دخول الجنة :

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣)﴾ [مريم]

وقال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ [يوسف]

وقال تعالى: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩)﴾ [يوسف]

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) ﴾ [الشعراء]

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) ﴾ [ق]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) ﴾[الدخان]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) ﴾[الطور]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) ﴾ [المرسلات]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) ﴾ [القلم]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥)آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦)﴾ [الذاريات]

وقال تعالى:﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ [القمر]

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) ﴾ [الرعد]

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)﴾ [الزمر]

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ [آل عمران]

وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)﴾ [فصلت]

تلك كانت بعض الآيات الكريمة التي تؤكد أن التقوى سبباً في دخول الجنة وأن أهل الجنة من المتقين ينعمون فيها جزاء بما كانوا يفعلون وسئل محمد رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: **تقوى الله وحسن الخلق** (رواه الترمذي وصححه) من أجل ذلك حثنا الله تعالى على التقوى وأمر بها وأكد أنه سبحانه مع المتقين ويحبهم.

• المتقين في حب الله ومعيته:

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ [التوبة]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)﴾ [مريم]

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)﴾ [التوبة]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ [الجاثية]

وقال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ [النمل]

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧)﴾ [الزخرف]

وفي شأن المتقين، قيل هم المؤمنون، ومن الأقاويل التي وردت فيهم: (٢٨ : ٦١ -٦٢)

- قال محمد ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: المتقون هم الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.
- وقال سفيان الثوري عن رجل عن حسن البصري قوله في المتقين: قال: اتقوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض عليهم.
- وقال أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قوله في المتقين قال: هم المؤمنون الذين يتقون الشرك بالله ويعملون لطاعته.
- وقال أبو بكر بن عياش: سألي الأعمش عن المتقين، قال: فأجبته، فقال سل عنها الكلبي، فسألته، فقال: الذين يجتنبون كبائر الأثم، قال: فرجعت إلى الأعمش فقال: نرى أنه كذلك، ولم ينكره.

- وقال قتادة (المتقين) هم الذين نعتهم الله بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) ﴾ [البقرة]
- وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا إسحاق بن سليمان يعني الرازي، عن المغيرة بن مسلم، عن ميمون بن أبي حمزة، قال: كنت جالساً عند أبي وائل، فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف من أصحاب معاذ، فقال له شفيق بن سلمه: يا أبا عفيف، الآ تحدثنا عن معاذ بن جبل، قال: بلى سمعته يقول: يحبس الناس يوم القيامة في بقيع واحد فينادي مناد: أين المتقون؟ فيقفون في كنف من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة، فيمرون إلى الجنة.

حقاً ما فرط كتاب ربنا إلينا في شيء، ففي الإيمان بالله تعالى ومخافته والرجاء منه والتوكل عليه حق توكله، والعبودية الكاملة لـه وحـده سـبحانه، والخضوع له بطاعته فيما أمر به وتجنب ما نهى عنه، حينها تـصبح الـذات الإنسانية في معيه الله بلا خوف وبلا حزن، مطمئنة في عيشة راضـية، بـلا ضنك، وبالتأكيد مع حياة تسودها هذه السلوكيات ينتفي الاغتراب وتقبل الـذات على مجتمعها في حياة يسودها التواصل والتفاعل، وتؤكد قوة الانتماء والـولاء وشرف الانتساب وعزة الهوية، في حياة تتسم بالتفاعل والاندماج في حب جـاد مثمر وحرية إيجابية مثمرة تحافظ على الذات وتحفظ لهـا تفردهـا وتمايزهـا

واستقلاليتها في إطار الجماعة والمجتمع بل والأمة كلها، مهما باعدت بينها حدود جغرافية مكانية.

التقوى وإخلاص القلب:

إن توحيد الله تعالى وخشيته وطاعته **تقتضى إخلاص القلب لله تعالى فالقلب هو مناط الإيمان والتكليف ومحل النية في الدنيا والآخرة**، فإن الله تعالى خلق القلب لعبادته فإن صلح القلب صلح الإنسان وصلح عمله سواء في علاقته بربه، أو في علاقته بالآخرين حوله، في مجتمعه وأمته، وإن فسد هذا القلب فسد الإنسان في علاقاته وأفعاله وكُب على وجهه في نار الدنيا بهمومها ومشاكلها المتنوعة، وأيضاً في نار الآخرة خالداً فيها أبداً.

"إن الإخلاص لله في القلب، وبدونه لن تثمر الطاعات الظاهرة على تنوعها، ولذا فإن **أحكام الشريعة كلها تركز على تزكية القلب عن الفواحش الباطنة وتحليته بالفضائل والأخلاق الحميدة**" (٧٧: ١٠) وهذا الأمر هو من أوضح ما صرح به كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **ويقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم** في الحديث المتفق عليه (**الآ وأن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، الآوهي القلب**)، ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم وابن ماجه وغيرهما: (**أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**)

ومع الإخلاص ينتفى الحقد والغل من القلب، وبذلك يصبح القلب سليم، والإخلاص هو وصية الله تعالى للمرسلين:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)﴾ [الزمر]

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) ﴾ [الزمر]

وفي علو مكانة الإخلاص وأنه صفة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا(٥١) ﴾ [مريم]

وناهيك عن أن الصدق خلق فاضل فإنه من متممات الإيمان ومكملات الإسلام،

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة]

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) ﴾ [مريم]

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣)﴾ [الزمر]

وما يصدق الوعد إلا كل مخلص سليم القلب ، وفي سياق ذلك" **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** في شأن الصدق: **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** (رواه مسلم)"(٣: ٤٦)

ذلك جزء يسير وبمثابة إشارة إلى مكانة الإخلاص والصدق في بناء الإنسان والأمة على طريق الاستقامة والعزة، ولذلك بالإخلاص ينتصر الفرد، وأيضاً تنتصر الأمة، فالإخلاص قيمة عليا تسمو بصاحبها وترتقي به منزلة في الدنيا والآخرة، **فالإخلاص يؤكد توحيد الله تعالى بطريقة عملية سلوكية، ولعل** هذا الإخلاص تؤكد عليه سورتي (الكافرون، والإخلاص) حيث العبودية الكاملة

لله وحده سبحانه وتعالى،الذي ليس كمثله شيء، وأحداً أحد، فرداً صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

إن الإخلاص يؤكد سلامة القلب، الذي بدوره يفصح عن اعتناقه لكافة القيم الإيجابية التي حثنا الله تعالى على انتهاجها أسلوباً وترجمتها سلوكاً في الحياة، ليصلح بها أمرنا في الدنيا والآخرة.

وسبب فساد القلب ومصدر الخطر عليه، "هو تعلق القلب بالدنيا ووضعها أعلي من المرتبة الحقيقية التي وضعها الله عز وجل فيها، ويبتلي القلب من وراء التعلق بالدنيا بالأمراض الخطيرة مثل: الكبر والحسد والرياء والعجب والضغائن وغيرها، ناهيك عن الشهوات من: [المال ، والمكانة ، والجاه والزعامة وغيرها] من الركون إلي مظاهر النعيم في الدنيا" (٧٧: ٢١-٢٢)

إن الإخلاص لدين الله تعالي من القلب يذيب الحواجز النفسية المتنوعة ومعه يزول الكبر وتزول الأحقاد والبغضاء، ويحل مكانها الود والوئام والتطلع إلى مرضاة الله، **ومع الإخلاص يضحى المخلص بعوائقه ومصالحة وآفاته النفسية في سبيل الحق الذي أخلص له**، وليس ذلك الذي يعيش في الدنيا ليربي فيها كبريائه ويغذي أنانيته ويدافع عن عصبته ومصالحه وأهدافه(٧٧: ٦٧-٦٨)

وهكذا تنال الدنيا بشهواتها من القلب الشارد المنغمس في ملذاتها، ويصبح أول الأمراض التي تصيب القلب السليم هي **حب الدنيا وشهواتها، وخاصة المال والنساء، والأولاد والحرث**.. وهذا هو مدخل الشيطان الذي **يرمى بذور السخط** للإنسان فيجعل قلبه في حال عدم رضا بقدر الله، ويظل به **فينقله من شهوة إلى أخرى، والشبهة والشهوة وجهان لعملة واحدة**، فكم من شهوة

جرفت صاحبها إلى شبهه وكبته على وجهه في نار الدنيا، وأيضاً سيكون خالداً في نار الآخرة، لأن أمراض القلب إما شهوة أو شبهه وكل منهما مصاحب للأخر ويؤدي إليه، وكلاهما يسكنان القلب المريض وينالا من صاحبه ويدفعان به إلى الهلاك.

أن القلب السليم هو ذاك الذي يذل ويخضع لقدر الله ويدعوه ويرجوه، وهو عاملاً بقيم كتاب الله العظيم راجياً عفوه وغفرانه... فأنين المؤمن تضرعاً وخوفاً ورجاءً وإنابه إلى الله تعالى أحب إلى الله من المسبحين له سبحانه، والقلب المريض هو ذاك الذي يجر صاحبة إلى الأهواء وملذات الدنيا ويلقى به في الفتن.

ويعرفنا ابن القيم أصل الفتن فيقول عنها في كتابة: إغاثة اللهفان، أن أصل كل فتنة إنما لأي من التالي أو كلاهما معاً:

- **تقديم العقل على الشرع:** لا يمكن انكار وجود علاقة بين كلا المفهومين: العقل، والشرع، لأن العقل هو الذي يدل الإنسان على الشرع ويعرفه به ، ثم يضع الشرع الأمور في نصابها ويرسم نظام الحياة التي يريديها الله تعالى لخلقه على أرضه.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١٤)﴾ [الملك]

- **تقديم الهوى على العقل:** وكم لعب الهوى بعقول الناس وقلوبهم، فمنهم الغافل والجاحد الذي يجحد نعم الله عليه ويتخذ الهه هواه، وفي ذلك قال تعالى:﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان]

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ [الجاثية] حيث تجرفه الشهوات المزينة وعلى رأسها شهوة النساء فيقع في الشبهات ساخطاً على قدر الله له فيظلم نفسه بجحوده بنعم الله الأخرى عليه، وأيضاً يظلم غيره، وبيده حقق هذا الظلم لأنه قدم الهوى على العقل والتفكير في أن الهدف في هذه الحياة الدنيا هو عبادة الله وحده لا شريك له، والرضا بقدر الله تعالى له، دون ظلم للآخرين و تناسي أن الله تعالى حرم الظلم حتى على نفسه وجعله محرماً بين العباد، قال عز وجل فيما يرويه عنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** (رواه مسلم)

وقال محمد صلى الله عليه وسلم: أتقوا الظلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة (رواه مسلم) **وقال محمد صلى الله عليه وسلم : إن الله ليملي للظالم فإذا أخذهم لم يفلته .** (متفق عليه) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) ﴾ [هود]

ولذا كان عقاب الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، وكم من الناس زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وانجرفوا إليه من مدخل الشهوات والشبهات فهذا هو صاحب القلب العليل، والله تعالى يحب الإنسان ذو القلب السليم،

قال تعالى: ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) ﴾ [الصافات]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء]

ولأن الله تعالى: هو الذي **خلق القلب وجعله مناط الأيمان والتكليف فخلقه ليحبه ويعبده وحده وينيب إليه** ... والله تعالى وحده يعلم ما يصلح قلب العبد، وما يفسده ولذلك أنزل إليهم المنهج ليبصر القلوب بالطريق إلى الله، وتقوى الله.

وفي شأن القلب وتقوى الله والإخلاص كان **رسول الله صلى الله عليه وسلم** يكثر من قول "**اللهم ثبت قلبي على دينك فقال له رجل يا رسول الله تخاف علينا وقد أمنا بك وصدقناك بما جئت به فقال عليه الصلاة والسلام أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها**" (رواه بن ماجة وصححه الألباني) وجاء في صحيح مسلم قول **رسول الله صلى الله عليه وسلم** "**إن قلوب بني أدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**" (رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر) ولذا جاء في شأن القلب مناط الإيمان والتكليف **قوله عليه الصلاة والسلام** "**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**" (رواه مسلم في كتاب القدر الباب الثالث).

أن الحب الحقيقي إنما هو لله وحده سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم فإذا أحب الإنسان هذا الحب أرتقى إلى أعلى درجات الجنة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) ﴾ [البقرة]

وكان **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم أني أسالك حبك وحب من أحبك، وحب كل عمل يقربني من حبك**

(رواه الترمزي بسند صحيح)

وقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان** (رواه أبو داود). **وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده الناس أجمعين.** (رواه البخاري)

وهكذا يكون الحب لله تعالى وحده ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويكون الإخلاص لله بالقلب حتى يكون القلب سليماً منيباً إلى الله، **قال الله تعالى:** ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ﴾ [ق]. حينها توجد التقوى التي معها ينتفي الاغتراب، لأنه مع الحب الحقيقي يكون الإخلاص في العمل بجدية وأمانة وصدق وينتفي الفساد والإفساد،

قال تعالى :﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾ [الصافات]

وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ [الصافات]

ومع هذا الإخلاص يكون حسن الخلق ومكارم الأخلاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن (رواه الترمذي وقال حديث حسن). ومع حسن الخلق ينتفي الفساد بكل أشكاله ومستوياته ويصلح مر الذات الإنسانية، وأيضاً الذات المجتمعية- فما المجتمع إلا مجموع أفراده- **وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً** (رواه البخاري) **وقال عليه الصلاة والسلام : أتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن** (من سنن الترمذي).

وقال عليه الصلاة والسلام: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً (رواه أحمد وأبو داود)

أن الحب بمعناه الحقيقي قيمة جوهرية معها ينتفي الاغتراب، سواء الاغتراب الذاتي، أو الاغتراب الاجتماعي، ولأن المجتمع ما هو إلا مجموع أفراده، فإن صلح حال الفرد واتقى الله وخضع له وحده سبحانه، والتزام بما أمر به، وابتعد عن ما نهى عنه، أيضاً يصلح حال المجتمع، وينتفي الفساد ، ويفي المجتمع بالتزاماته نحو جميع أفراده في حقوقهم بالعدل تماماً، كما يفي الأفراد بواجباتهم نحو مجتمعاتهم في حب وولاء له، هنا ينتفي الخلل القيمي، وينتفي الإحساس بالعجز والعزلة واللامعنى واللامعيارية وغيرها من المفاهيم السلبية، لأن كل فرد سيدرك أن الدنيا ما هي إلا دار الابتلاء والممر ، يليها حساب بميزان دقيق مثقاله الذرة ومع نتائج هذا الميزان بعد رحمة الله سبحانه وتعالى ومشيئته يتحدد المصير والخلود الأبدي ، إما في جنهم وإما في الجنة، فإذا أيقن كل إنسان هذه الحقيقة خاف الله تعالى ورجاه وأناب إليه ورجع، ونفذ سلوكاً ما أمر الله تعالى به، ويضع نصب عينيه :

قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)﴾ [الحديد]

وقوله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [التوبة]

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨)﴾ [إبراهيم]

وغيرها العديد من الآيات الكريمة وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي تحثنا على تقوى الله تعالى ومخافته سبحانه وطاعته فإذا أيقن كل فرد ذلك، وسلك في حياته ما يجنبه عقاب الله له، سينتفي الخلل القيمي، والتناقض القيمي،

سواء على مستوى الذات الفردية أو الذات المجتمعية، بل ويتعدل النسق القيمي ويتوازن وتعلوه القيم الإيجابية التي أمرنا الله تعالى بها والتي هي لصالح الأفراد وأيضاً لصالح المجتمع، وفي مقدمتها (الأمانة) بمعناها الواسع والشامل الذي معه احتوت كل القيم. تلك التي قال الله تعالى في شأنها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) ﴾ [الأحزاب]

فإذا أعتقد كل إنسان في معنى جوهر الأمانة، وعمل بها وامتلا قلبه بالحب لله وحده، والإخلاص في الأداء، والصدق في التعامل مع الذات ومع الآخرين، صلحت الذات الفردية ومارست تقوى الله سلوكاً- وما دام المجتمع هو مجموع أفراده- صلحت أيضاً الذات المجتمعية، وهنا سينتفي تقديس الأنا، وستنتفي الأنامالية، والأنانية، والسلبية، والفردية، ويتحقق التفاعل الإيجابي وينتفي الفساد وما يصاحبه من اللامعنى، واللامعيارية وتزيف الوعي، ويصبح المجتمع في تفاعل حقيقي منطلقاً من قيم إيجابية تعمل على تحقيق الذات وتقديرها، وأيضاً تعزيز الهوية والولاء والانتماء وشرف الانتساب للذات المجتمعية فتنتفي الأمراض العصابية التي تنال من بنية المجتمع، وتتسبب في اهتزاز الهوية لدى أفراده والتي معها تتعاظم مشاعر الاغتراب والافتقاد إلى الولاء والانتماء، ناهيك عن عدم الأحساس بالأمن مما يضعف الالتزام بالقيم المشتركة بين أفراد المجتمع نتيجة لإحساسهم بالحرمان من حقوقهم الأساسية في مجتمعهم، بفعل اختفاء العدالة وعدم والمساواة بإتاحة الفرص المتكافئة لهم في تحقيق حياة إنسانية أفضل، خاصة في حال سيادة القيم المادية، التي هي في تصارع لإعتلاء النسق القيمي

سواء على مستوى الذات الفردية أو الذات المجتمعية في عصرنا هـذا، عـصر العولمة الشرسة بسلبياتها المدمرة، فتطغي القيم المادية على تلك الروحية مـسببة تفشي الشهوات والشبهات، ومعها ينتهي الأمر إلى سيادة الفردية، بـل والفرديـة المريضة، وبالتالي تنتشر المشكلات الاجتماعية نتيجة لإفتقاد المعنى، والمعيارية، ويسود الإحساس بالعجز والعزلة وتنفصل الذات عن مجتمعها الذي إصابه الخلل القيمي كبداية لطريق التخلف والتدهور.

أن التقوى تعمق الاعتقاد بأن **هدف الوجود في الحياة الدنيا، هو عبادة الله وحده وأن أعلى مقام للعبد عند الله تعالى هو مقام العبودية لله وحده،** حيث لا عزة للذات إلا في الذل لخالقها ورازقها الله تعالى وحده العلى الجليل، ومن رضي بالله رباً، وخضع لله تعالى رضي الله به عبداً له، فوظيفتنا الحقيقة أن نكون عبيد مملوكين لله تعالى، وأن نضع العبودية لله موضع التنفيذ، فنقيم عليها سلوكنا وجميع مظاهر حياتنا، وأن نسمو على كثير من خصائص النفس وأهوائها، وأن يتعلق قلب الإنسان بالله وحده، ولا نطلب خيراً إلا منه، ولا نستعيذ من شر إلا به وحده سبحانه، **قال تعالى:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٤)﴾ [فاتحة الكتاب] بهذا فقط نظل على ذكر لهويتنا الحقيقة، وعلى معرفة بوظيفتنا التي كلفنا الله تعالى بها، وأن نجعل منها غاية نضعها نصب أعيننا، ونتخذ من الدنيا بما فيها وسائط لتحقيقها(٧٧: ٣٦-٤١) باعتبارها دار الممر للآخرة التي هي دار المقر والخلود، واليقين بأن الله تعالى بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وسبحانه قادر على كل شيء، وسبحانه ليس كمثله شيء، وأنه سبحانه غالب أمره، فلا تكن دار الممر غاية همنا، مما يستوجب محاسبة النفس لذاتها

قبل محاسبة الله تعالى لها في يوم قال الله تعالى في شأنه:﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [الشعراء]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى(٧٦) ﴾[طه]

أن هذا القلب السليم هو وراء التقوى والاستقامة والمحاسبة وتجنب كل من الظلم، وتقديس الأنا، وعبادة الذات، والهرولة وراء الشهوات، التي هي دوماً محفوفة بالشبهات، لأنه بانتفاء الأنانية والتكبر والتجبر والظلم يتحقق التفاعل الإيجابي والتكامل الإنساني، مما يزيد من مشاعر الولاء والانتماء نضجاً وجدانياً، تبلوره المواقف الحياتية سلوكاً وممارسة، لتؤكد على شرف الانتساب للوطن والأمة. والاعتزاز بالهوية التي مع التقوى بالتأكيد تتجاوز الحدود الجغرافية للوطن إلى الأمة كلها أينما كان موقعها الجغرافي.

فلا أمل في الفكاك من هذا المفهوم السلبي المدمر(الاغتراب) لكل من الذات الإنسانية الفردية، والذات المجتمعية الا بالتقوى، تلك القيمة الجوهرية التي تكاد من شمولها على معظم إن لم يكن كل القيم الإيجابية أن تكون بمثابة أم القيم، وأنه باعتناقها ينتفي الوعي الزائف، والخلل القيمي، والتناقض القيمي وتنتفي الأنانية والفردية والسلبية والأنامالية وما شابهها، وقد تتحقق الذات الآمنة المطمئنة المنتجة المتمسكة بقيم كتاب الله تعالى وتعيشها في الحياة ممارسة سلوكية دون انشغال عنها أو تجاهل لها، قال تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد]

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾ [الحشر]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا(١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى(١٢٦)﴾ [طه]

لقد بات مؤكداً أنه لا نجاة ولا فلاح إلا (بالتقوى) فهي الطريق الأمثل للحياة الإنسانية الكريمة، والتي معها يتم تحقيق الذات الإنسانية، وتقديرها، ومعها تنتفي مشاعر الاغتراب بأبعاده، بل وتتعزز الهوية وترتقي مشاعر الولاء وفخر الانتساب والانتماء، وجميعها مفاهيم إيجابية تدعم تحقيق الذات الإنسانية الفردية، وأيضاً الذات المجتمعية التي يفترض فيها أن تعمل على إشباع حاجات أفرادها كخطوات إيجابية نحو تعزيز هويتهم وتنمية مشاعر الولاء والانتماء لديهم على طريق التقدم والتطور.

وقد تحمل الصفحات التالية من هذا الكتاب ما يبلور هذا المعنى ويزيده وضوحاً وتفسيراً كل في سياقه عبر أبعاد ومحاور فصوله التالية.